رواية
في ضيافة ليال
معمر إيمان

تتعثر قدماي إثر كل خطوة أخطوها للهروب من هذا المكان اللعين..

ترى هل يمكنني الهرب فعلا؟! إني أرى السبيل لذلك أمامي بعيدا عن عينيها الباردتين!! فجأة جاءتني صورهم فنفضتها فورا عني لأنها الوحيدة التي ستمنعني من النجاة بعد ما ارتكبته

لم أشعر يوما بأنني مقيدة كهذه الأيام القصيرة اللعينة.. قالت أمي مرة أن ما يحصل معنا نتاجا لأفعال سابقة

بدأت أراجع أفعالي تحت قيود قدمي

دعوة

يكاد يقتلني الضجر الآن وأنا مستلقية في هذه الظهيرة الكئيبة بهذا المكان الذي اخترته بنفسي لقضاء العطلة، وسط الطبيعة النقية والجو الصافي. كل شيء هنا كامل كما أبغي تماما.. أعترف بذلك.

كم انتظرت هذا الشهر لقضاء وقت ممتع ساحر بعد الضغط الذي كنت أشهده في العمل، بحيث لا أفعل شيئا سوى مراقبة الأشجار وعد أغصانها وأوراقها؛ كم كان الأمر في ذلك الوقت ممتعا أسعى بشدة إليه والآن ماذا! إنني حقا ضجرة! يبدو أنني تعودت وأحببت تعرضي للضغط كل يوم.

أمسكت الهاتف أعبث به لكنني سرعان ما ألقيت به في الطاولة التي بجانبي وعدت أنظر للطبيعة أمامي من جديد، تحركت قليلا للأمام بوركي بحيث صرت جالسة على أسفل ظهري ورأسي مستند لمسند الكرسي الخشبي المريح ذو مساند إسفنجية، أغمضت عيني قليلا ثم سرحت في البساط الأخضر الممتد أمامي. إنها جنة في الأرض، خضراء فاتحة ثم تمتد للون الأخضر القاتم قليلا لتنتهي عند التلة، لا أدري لما يتملكني الفضول الشديد حول تلك التلة! ترى ما الذي

تخفيه خلفها؟ نفضت رأسي من الفكرة لأنني أعلم يقينا ما ستفعله قدماي بعد قليل من التأمل هذا واعتدلت في جلستي ثم قررت قراءة الرواية غالية الثمن التي ادخرت مبلغها من أجل هذه العطلة. فتحت الصفحة الأولى ومرت عيناي على محتوياتها الشيقة جدا لكنني لست في وقت مناسب للتمتع بجمالها، مزاجي سيفتك بكمية التشويق بها ليحولها إلى مجرد حبر على ورق مر من أمامي، فوضعتها بلطف على الطاولة ثم مسحت عليها بحب كي لا تنزعج مني. مطيت شفتي ثم قررت أخذ قيلولة ونهضت من مكاني للعودة إلى السرير لكن رنة هاتفي منعتني.
ألقيت نظرة عن المتصل وإذا بها صديقتي ليال فأسرعت بالرد أتاني صوتها المرح:

- هل نسيتنا يا فتاة المروج

رددت بهدوء:

- كيف حالك ليال هل تعودت على روتين الجلوس بالمنزل بلا اصطياف

جاءني صوتها الضاحك فابتسمت وأنا اسمعها ترد على الجانب الآخر:

- كلا فأنا في منزل لا يبعد عنك كثيرا

انفرجت عيناي وصحت بفرح:

- حقا!!!

ثم سألتها بتوجس وقد ظننت أنه أحد مقالبها:

- أنت تمزحين أليس كذلك
- كلا أيتها الكئيبة إني أدعوك لحفلة الليلة بالمنزل
- حسنا سآتي

وفجأة كانت قد دبت في الحياة من جديد وخرجت مجددا للشرفة أرى تلك التلة وقد ساورني ذلك السؤال مجددا ما تخفيه يا ترى؟ لكنني نفضت رأسي وارتديت ملابسي للخروج إلى المشي قليلا عل الهواء النقي يحسن مزاجي.

* * * * * * * * * * * * * * * * *

في المساء ارتديت ملابس خفيفة من قطعتين تحتوي على قميص ذو لون عاجي اقتنيته من الصين تحته سروال بلون الأبيض عريض ثم ضممت شعري الأشقر في شكل كعكة عشوائية أضفت لها منديل حريري جميل أبيض ليحسن شكلي نوعا ما.

وصلت للمكان ذو الطريق المعبدة بالخشب!! حيرني الأمر لأن كل المنازل في هذا المكان مصممة بتصميم واحد طبيعي بحيث تكون معبدة بالصخور! لكنني لم أشدد على الأمر كثيرا.

ترددت قليلا قبل دق الجرس وبدأت أسئلة مزعجة تراودني ! هل ربما صديقتي تمزح؟ أو أنني أخطأت في العنوان! فكرت قليلا بين العودة أو البقاء لكنني حسمت أمري ودققت الجرس فربما أحظى ببعض المرح.

دبت رعشة في أوصالي فور طرقي له وأحسست بشيء غريب في المكان وكأن أحدهم متربص بي!! لست جبانة ولكنني لا أنكر توتري الشديد..

التفت من كل الجهات ببطء أرى ما حولي وقلبي يكاد يخرج من مكمنه... نظرت إلى الأشجار الكثيفة خلفي باحثة عن مصدر الخوف ولسبب ما سرحت هناك وكأن عقلي يخاطب شيئا لا أراه!!! فجأة شهقت وأنا أسمع الصوت الذي أفزعني والتفت للباب

- أهلا بك كنا بانتظارك

صعقت من صوت الباب الذي انفتح بطريقة غريبة لكنني ارتحت حين رأيت صديقتي وسارعت بدخول المنزل.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

ترى ما الموضوع؟

هذا ما سألته لنفسي حين دخلت للغرفة التي استضافتني فيها ليال والتي كان تصميم الزينة مريبا نوعا ما بإضاءة حمراء وجلود حيوانات مدبوغة بلون بني تحط فوق الأثاث الخشبي!! فسألتها وأنا أعلم بذوقها المختلف تماما عن الذي أراه:

- ما هذا ليال هل تنوين الاحتفال بالهالوين؟

انفجرت ضاحكة وهي تعيد خصلاتها البنية المتموجة خلف أذنها وترد وهي تصب العصير في كأس زجاجي بتوئدة:

- نعم أرغب في تقديمك ضحية للمكان

ابتسمت بمجاملة وأنا لا أعلم لما تخفي ارتباكها لكنني لم أعلق، فربما هذه أحد انتكاساتها بعد طلاق والديها.

نظرت حولي في المكان ثم سألتها مستفسرة:

- اخبريني أين أصدقاءك الذين حدثتني عنهم لا أرى أحد سوانا في المكان

نظرت إلي وأجابت بهمس:

- تعالي أريك شيئا لكن أولا اشربي هذا العصير

رمقتها باستغراب فألحت بعينيها ففعلت ما تريده بملل. أخذت الكوب من أمامي معلقة:

- لا تخافي ليس به سم

صحت فيها وقد انزعجت حقا مما تقوله

- ما بك اليوم!! أنت تثيرين خوفي كما إن المكان برمته يبدو مريبا!

تأبطت ذراعي وجرتني قائلة:

- لا تخافي تعالي لأريك ما وعدتك به
- ألن تريني المنزل أولا؟
- ليس بعد هيا

أخذتني إلى السلالم التي يفصلها عن المطبخ حائط، وأصرت علي في الصعود ببطء فاستجبت لرغبتها على مضض، كانت في آخر الدرج غرفة والتي بدا أنها مقصدها، شعرت فجأة بدوار وبخدر يتملك قدماي شيئا فشيئا

- ليال لا أشعر بأنني بخير!

لم ترد علي وأسرعت بفتح الباب وكان المنظر لبشاعته ساعد جسدي على السقوط وعقلي في الإغماء.. كان آخر ما أذكره نظرة ليال وابتسامة شيطانية تعلو وجهها نحوي ولم أذكر شيئا بعدها.

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

الذكرى

الذكريات...

كم من شخص في هذا العالم الكبير لا يمتلك ذكريات. ذكريات من ماض أو حاضر، كانت مدتها سنين أو دقائق لا فرق، فهي في الأخير الطريق إلى المستقبل. بها نكون ما سنكون شئنا أم أبينا.. فقط الطريقة تحدد الطريق الذي سنسلكه، يمينا أم شمالا...

ما هذا الصداع يا إلهي!!! رأسي يكاد ينفجر

فتحت عيني بثقل لا أذكر شيئا في تلك اللحظات، بدأت أقلب بصري حولي ببطء وكسل. المكان هادئ، جدران كريمية تبعث للنوم بتلك الإطلالة المشرقة التي تبعثها الشمس من النوافذ. التفت إلى النوافذ وقد شعرت بالاسترخاء، الستائر البيضاء تغطي تلك النوافذ الزجاجية، يا له من منظر مريح للنفس! أرغب في القيام بالتأمل. عدت للنوم مجددا ثم فجأة تذكرت ما حدث فانتفضت لأقف على قدمي لكنني فوجئت بثقل حولهما!! أنزلت بصري ببطء وقد خمنت السبب في ثقلهما، صرخت فورا باكية وأنا أرى الجثث فوقي!!! ما هذا!؟؟

- إنهم أصدقاؤنا لا تزجعي

التفت إلى مصدر الصوت وبالطبع كانت هي، بحثت عن تفسير للأمر خلف حدقتيها الباردتين ناظرة إليها بجزع لكنني لم أجد سببا، كل ما علا سحنتها الجمود، سألت نفسي هل هي قاتلة؟! لقد رأيت أفلاما حول أمور تصير في الأماكن النائية كهذا المكان اللعين ولا أرغب في سردها لأنها تقتلني خوفا. ولكن ليال فتاة رقيقة! ما السبب الذي يقودها إلى أن تفعل شيئا كالذي أقدمت عليه؟!! ثم هل هذه جثث حقيقية؟! لم أسألها وحولت نظري إلى الشابين الجاثمين على وجهيهما فوق قدمي، كانا شابة وشاب يبدوان في العشرين من عمرهما، تجرأت قليلا وأبعدت شعر رأسهما قليلا ثم رفعت رأس كل واحد لأستبين حقيقة وضعهما.

كانت يداي ترتجفان وقد بدأت حبات العرق تنبت على جبيني، أبلع الريق بصعوبة خوفا من النتيجة التي سأراها. أغمضت عيني بشدة وضممت شفتي ثم تنفست جيدا مشجعة نفسي وفورا قمت برفعهما.

فتحت عيني ببطء، كان وجه الفتاة أو بالتحديد خديها متوردين مما جعلني أرتاح قليلا فهذا دليل على أنها لم تغادر عالمنا. أما الشاب فكان شاحبا لكن برودة أنفاسه على يدي التي وضعتها لأتأكد من بقاءه على قيد الحياة أراحتني فتنفست الصعداء واضعة يدي على صدري شاعرة أن التوتر والجو الخانق يخرج من أنفاسي المغادرة لرئتي قبل أن أستنشق هواء جديدا.

إذا ليال ليست قاتلة لكن ما الذي تفعله!!! جاءني صوتها من خلفي فانتبهت أنها لا تزال موجودة وكأنها تقرأ أفكاري

- لم يموتا لا تخافي

استدرت إليها أسألها

- وما الذي تفعلينه هنا!

لم تجبني لكنها سألتني مشيرة إليهما

- هل تذكرينهما

صمت وأنا أعود بذاكرتي قبل أن أجيبها.....

* *

كارلا وجو

فتاة ذات شعر أسود قاتم كضميرها وعينان خضراء ماكرة كانت من النوع الذي حين تراه تقول أن مستقبلها سيكون معقل لعصابة تستخدمها فترة وترميها. تسرق تكذب تراوغ كما أنها لا تدخر شيئا للوصول إلى مصلحتها

أما جو فهو الذي سيكون مديرها

هذا أبسط تشبيه له، يمتلك ثبات انفعالي لا بأس به كشاب في الواحد والعشرين (21) من عمره. كان يقودها ونحن في المدرسة الثانوية

قولي كلمة "نحن" أننا كنا ندرس سوية، هذا حين انتقلت للثانوية وانضممت إليهم، بعد ذلك صرنا أنا وليال صديقتان مقربتان.

وكانت هي حين توطدت علاقتنا كصديقتين قد صارت عدوة لهما بعد الذي حصل.

في أحد الأيام كانت في طريقها إلى الثانوية كعادتها، فمر عليها جو بدراجته النارية وقامت كارلا بسكب القهوة المثلجة عليها بعد أن قامت بالوشي بهما لسرقتهما بعض المواد الكيميائية في المخبر من أجل بيعها للأولاد في الخارج لأغراض مشبوهة وكان من ضمنها شقيقها الصغير الذي كان يدفع لهما، وقد استغلاه بعد ذلك في التوزيع وكان أن زج بجو في السجن لبلوغه السن القانوني ولم يلبث فيه سوى ستة أشهر، أما كارلا فقد تم الإفراج عنها بواسطة نفوذ والدها.

****

عدت من تلك الذكريات ثم أومأت لها بالإيجاب، بعدها حولت نظري إلى بقية النائمين أو الميتين لا أدري ولا أمتلك إجابة. كان عددهم ثلاثة أشخاص، شابة في الثلاثينات شقراء بشعر قصير ممتلئة الجسم و شاب عشريني بشعر بني قاتم وجسم ببنية صحية لا أدري كيف واتتها الجرأة لاختطافه. أما الثالث

ففتاة تبدو في العاشرة (10) من عمرها شقراء والواضح أنها ابنة المرأة الأولى.

قبل أن أسألها أجابت وهي تدخل الغرفة:

- هؤلاء أبرياء ليس لهم ذنب سوى أنهم أعز الأشخاص على قلب هاذين المزعجين

أعدت جملتها الأخيرة مشددة على كل حرف ناظرة إليها باستغراب

- ليس لهم ذنب سوى أنهم أعز الأشخاص على قلب هاذين المزعجين؟! ما الذي تقصدينه!

نظرت إلي نظرة شيطانية مرعبة بجمود كجمود تعبيرات وجهها؛ جعلتني ابتلع ريقي خوفا وهي تجيب

- تماما كما جاء في بالك

ثم تقدمت من الثلاثة وقامت بتعديل جلستهم فوق الكنبة، هنا كان المنظر الذي رأيته قد هالني فأسرعت بالصراخ طالبة النجدة قبل أن أحاول الهرب لكني فجأة وقبل أن أنهض مغادرة تعثرت بقدمي اللتان اكتشفت للتو أنهما مربوطتان.

* *

بعد أن هدأت سألتها:

- لقد فهمت أنك تنوين الانتقام لكن ما الغرض من وجودي هنا؟

أجابت وهي تكمل توثيق السلاسل حول معصمي الفتاة الأخيرة

- ستساعدينني
- بماذا

نظرت إلي بتأمل بعدما أكملت وجلست تستريح على الكنبة، كان وجهها مسترخي وكأنها أنهت تحضير كعك عيد الميلاد، لا كخاطفة لخمسة أشخاص الله يعلم كيف فعلت ذلك

- لا تستعجلي، لنشرب قدحا من الشاي بالعسل كما تحبينه، فمهمتك ليست بصعوبة مهمتي

ثم نهضت من مكانها وهي تكمل حديثها:

- لقد أحضرت كعك الزنجبيل الذي تفضلينه لكنه عالي الجودة كلفني مدة للحصول
- عليه قبل مجيئك

تحرك جو قليلا من مكانه وكان يبدو عليه أنه لا يزال تحت تأثير المخدر فحركت قدمي قليلا لأساعده لكنني توقفت حين عادت بالشاي وصحن به الكعك بعد مدة ووضعته على المائدة التي تبعد عن يساري قليلا وقالت:

- تعالي شاركيني

حدقت بها بصمت وهي ترمقني بانتظار ثم ضحكت

- أمزح فقط يا فتاة

ثم أمسكت الصحن وكوبي الشاي وجلست بجانبي على الأرض متربعة. قالت وهي تنظر إلى جو الذي عاد لوضعه السابق

- هيا كلي

لم أفعل بالطبع فقط ضللت ساهمة فأمسكت بحبة كعك وتناولتها

- لا تخافي لن أسممك فأنا أحتاجك

ثم نظرت نحوي وابتسمت. كنت أنظر إليها باحثة عن فرصة للنجاة وأرمق جو من حين لآخر متمنية ألا ينهض حتى تذهب مجددا لأي سبب لعين يخلصني منها عله يستفيق في تلك اللحظة ويساعدني.

أنهت الكعكة وشربت رشفات من الشاي ثم نظرت إلي بتساؤل

- ألن تأكلي؟ إن الشاي ليس ساخنا جدا

ثم مطت شفتيها نظيفة وهي تحدق في الكعك والشاي

- يبدو أن ما حولك منعك من الأكل بسبب التوتر أليس كذلك؟

صمت وقد بدأت أهدأ قليلا فيبدو أن ما ستقدم عليه أنها سترهبهما فقط.

قامت من مكانها وأخذت الكوب ثم أجابتني

- شكرا لك فقد قدمت إلي فكرة

ثم وقفت أمام جو وسكبت الشاي فوق وجهه فاستفاق مذعورا.

بعض من

أجفلت وأنا أرى ما يحصل أمامي!! في حين استيقظ جو مذعورا تهرب الحروف من كلماته

- ماذا! ما الذي يحصل!! أين أنا!!

هذى بتلك الكلمات وهو يحرك جسده يمنة ويسرى دون فائدة وهو مقيد بذلك الشكل.

التقت عيناه بعيني لبرهة بعدها صمت وقد بدأ يشعر بالخطر وقد انعكس الرعب في حدقتي، وعلى ذلك أنزل عيناه اللتان لم يلبث سوى نصف دقيقة ورفعهما إلي سائلتين عن السبب في قيود قدمي! وبالطبع لم يجد مني إجابة سوى السكون. هنا انتبه وبدأ يعي ما حوله، أين نظر للتي تقف أمامه؛ ولا أمانع في أن أجزم أن قلبه في تلك اللحظة قد انقبض! كانت واقفة شابكة يديها تنظر إليه، وبسخرية خاطبته مشيرة لكارلا

- ألن تسلم على شريكتك؟ أترى؟ إنها في نفس الغيبوبة التي كنت فيها

نظر إلى كارلا وانحنى فورا بجذعه يوقظها بلهفة بعد أن هاله أن يراها مربوطة اليدين والقدمين تماما مثله

- كارلا استيقظي!! كارلا

كانت غارقة في سبات عميق وكأنها ميتة فأجابت ليال مكانها:

- لن تستجيب لك. سأوقظها من أجلك بطريقتي

أمسكت نفس القدح ورمت به فوقها فاستفاقت الأخرى مذعورة تصرخ بألم

- يا إلهي ما هذا؟؟!

ثم نظرت حولها وبنظرة واحدة حول المكان أدركت ما يجري، نظرت لليال وقد علت وجهها سحنة غاضبة ثم صاحت بها بسخط

- أيتها اللعينة لقد خدعتنا!

أسكتها فقط صوته وهو يسأل عن حالها وكأن ما حوله منصب عليها

- كارلا هل أنت بخير؟!

لم ترد واكتفت بالنظر إليه فقالت لها ليال

- أجيبيه كارلا

ثم تأففت وهي تردف:

- حسنا يكفي هذا بعد استيقاظكما

ثم نظرت إلينا ثلاثتنا وتحركت مغادرة فتبعتها بعيني وقد ظننتها مغادرة الغرفة؛ ويا لها من فرصة! أستطيع وقتها التحدث إليهما براحة! لكنها خيبت أملي. لم تلتفت إلينا واتجهت بخطواتها البطيئة للدرج بإحدى الطاولات في المكان وأخرجت منه شيئا ثم عادت إلينا. بسطت يدها قليلا وكانت تحمل ثلاث أقمشة سوداء مستطيلة بعرض رقيق، وضعت اثنتين على الأرض فبدا واضحا من شكلها أنها غمامات للأعين. ثم اقتربت منهما وبدأت بعدها بإغلاق عينيهما بالدور بلف الغمامة عليها.

جو بقي ساكنا ينظر إليها بغضب مكتوم قبل أن تغطي عينيه، وبحسب طبيعته هو يفكر في طريقة للهرب لا محالة.

أما كارلا فما إن اقتربت منها بالغمامة حتى بدأت تقاوم بهز رأسها بعنف مكيلة لها سيلا من السباب، انزعجت ليال من ذلك فأمسكتها من شعرها بعنف تشد وتشد إلى أن تحول صراخ كارلا من سباب إلى ألم.. بفحيح ملتهب هددتها مقربة شفتيها من أذنيها

- حركة أخرى وستجدين نفسك مغمى عنك.

ثم فكرت قبل أن تقول بعد أن ابتعدت قليلا وكانت تجلس من خلفها تنظر بين رأسها و قدميها بعد أن توقفت كارلا عن الكلام متوجسة من أي حركة مباغتة

- ستكونين الآن فتاة هادئة ومطيعة رغما عنك

وبعنف رمت بها على بطنها قبل أن ترجع قدميها للخلف، فأطلقت كارلا آهة متألمة لم تقوى على إكمالها وعيناها تنفرجان بصدمة حين ربطت الأخرى شعرها الأسود الطويل مع يديها. بعدها عادت لتضع الغمامة بهدوء على عينيها

وجاء دوري...

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

لم أقاومها أبدا، بالطبع سأكون فاقدة لعقلي إن فعلت.

بعد أن انتهى وصول النور إلى عيني أحسست أنني أُجر من كتفي!! من أين لها بكل هذه القوة؟!! حقا إن ليال تفاجئني كل مرة!!

توقفت بعد أن دارت بي دورتان حول الباب في المرة الأولى والأخيرة ومشت بي في خط مستقيم عن جري. وبدا لي أو ما فهمته، أنها وضعتني في غرفة بعيدة عن الأولى بعد أن مرت بي في الردهة. بعد عدة دقائق أحسست بها تفك العصابة، كم آلمتني بعض شعرات من رأسي وهي تفعل ذلك.. في السابق كان هذا أشد ما أكرهه لكنني بت الآن أقل انزعاجا. شكرا ليال بفضلك أنا أكبر..

انقطعت أفكاري تلك وأنا أشاهد نفسي في غرفة بيضاء وأثاث كريمي. بدأت أستطلع المكان بعيني. كنت بعيدة عن الباب المفتوح بمسافة صغيرة على يمينه، وفي الحائط على شماله نافذة هي الوحيدة بالمكان عليها ستائر كريمية

مفتوحة!! استغربت أنها نست الستائر! وبَقَيتُ أتربص بها مثبتة عيني عليها علني أجد أحدا يمر فأطلب نجدته.

أخفضت بصري بعدما لم أجد أحدا للأرضية أتفقد طبيعتها، فوجدتها خشبية كريمية يعلوها في المنتصف البعيد نسبيا عني وعن وجهات الحائط الأربعة سجاد أبيض بلا أشكال، أمامه على الحائط المقابل لي أريكة جلدية مرفوعة إلى طرفه لا أدري السبب في ذلك!

بعدما أكملت استطلاع المكان استنتجت أنها ربما غرفة المطالعة. لأنها لا تحتوي على كراسي أو طاولات، فقط خزانة كتب من نفس اللون فارغة وضعت من جانب الأيمن للنافذة.

حولت بصري إلى ليال التي جلست في مقابلي وبدأت تشرح لي

- سنبدأ العملية الآن. ما أريده منك هو تثبيت كل من جو وكارلا حسب الدور وتجبرينهم على مشاهدة ما سأفعله لكل كن الثلاثة الآخرين

نظرت إليها بصدمة

- كلا لا يمكني فعل ذلك

رفعت حاجبها

- لما لا؟

صمت لبرهة أرتب كلماتي وأنظر إليها ثم أجبتها بهدوء ففي الأخير بيننا عشرة

- ليال أنا لست سفاحة

ضحكت ضحكة خافتة وقالت بسخرية

- حقا؟! لم أكن أعلم

حولت عيني عنها وأنا أجيب محولة الموضوع بعيدا عني

- صدقيني ليست هذه الطريقة الأمثل للانتقام!

بدأت بعض النيران تلوح من عينيها وهي تسأل بتهديد

- هل ستملين علي ما أفعل؟

أجبت فورا دون شعور

- لن أملي عليك شيئا كما أتوقع أنك لن تجبريني على شيء لا أرغب به
- ستفعلين ما أطلبه منك في تلك الغرفة تماما
- نحن صديقتان! أليس كذلك؟
- بلى
- إذا؟

أجابت بهدوء

- في السراء والضراء آنية العزيزة

وبدأت تفك قدمي

- يكفي الآن فلدينا عمل علينا القيام به

وأردفت وهي تتابع

- طبعا لا أحتاج أن أخبرك بأن لا تتصرفي بحماقة. اسمعي الآن الآتي

وسردت علي تفاصيل أكثر.

* * * * * * * * * * * * * *

عدنا إلى الغرفة السابقة من جديد. نظر إلي جو يحلل الموقف في رأسه في حين لم تنبس كارلا ببنت شفة. قالت تخاطبني

- ثبتيهما

واستدارت مغادرة وهنا كانت الفرصة سانحة تماما، كانت المزهرية أمامي ويمكنني ببساطة لا تشبه المكان أن أجعلها تفقد الوعي بلحظة!! تنفست بعمق وحولت بصري إليهما وكانا يشيران إلي بأن أفعل ذلك

قالت كارلا بصوت مسموع لي فقط

- آنية أعلم أنها تسيطر عليك لكنك يمكنك إنقاذنا أليس كذلك!! هيا نفذي!!

بقيا ينظران إلي مطولا يبحثان عن أمل لأي مساعدة أبديها، وبجمود أمسكت المزهرية وقبل أن أحركها قلت مخاطبة ليال

- بمن أبدأ

علت الصدمة عيناهما قبل أن تجيب

- بجو
- حسنا

أبعدت يدي عن المزهرية واتجهت إليه، نظر إلي مستغربا ومتوجسا في نفس الوقت وأنا أقترب منه، قبل أن أضع الغمامة على عينيه قبل أن أفعل نفس الأمر مع كارلا.
بعدها انتظرت ليال حتى تنهي ما تفعله. فتحت عيني جو وهنا كانت المفاجئة....

انفرجت عيناه وهو يرى ذلك المنظر المهيب وقد اقشعر بدنه..

شفاف ولا يرى

في تلك الغرفة رأى الفتاة تستيقظ وبدا كأنه يتعرف عليها للتو فقط مما أثار استغرابي! ألم يتنبه لها من قبل؟ أجابت ليال تساؤلاتي وهي تخاطبه

- لم تتعرف عليها منذ قليل أليس كذلك؟ لقد كنت تنظر إليها ككل ضحاياك. بلا معنى

هنا فقط نطق لأول مرة منذ أن استفاق يستجديها

- ليال أرجوك إنها صغيرة ولا ذنب لها

لم ترد وضلت تراقب الفتاة التي بدأت تمد يديها قبل أن تفرك عينيها فأضاف متوسلا

- أنا المذنب الوحيد عاقبيني مكانها!

استدارت إليه ثم نظرت لكارلا التي سألته

- ما الذي يجري؟ عن من تتحدث؟

لم يرد عليها وواصل استنجاده

- ليال أرجوك أتوسل إليك اتركيها تذهب لن تتحمل الأذى أرجوك

وجمت وتحركت من مكانها دون أن تنطق بحرف فصرخ فورا بالفتاة الصغيرة

- اهربي يا جيني!! أهربي صغيرتي

بقيت كارلا مشدوهة وهي تنطق باسمها مستغربة

- جيني!!

انتفخت أوداجه وظهرت عروق رقبته وهو ينادي وينادي وقد ضننت لوهلة أن وجهه سينفجر بالدم لشدة حمرته في حين ازدادت وتيرة أنفاس كارلا من الذي يجري دون أن تراه وسألته سؤالا جعله يدرك أنه في ضيافة الجحيم

- لماذا لا ترد عليك؟

لم يدرك هو فقط ذلك فقد انتبهت أنا أيضا لما يدور حولنا.

استدارت إليه كارلا بعينيها الحرتين فقط في جسدها تنتظر ردا في حين كان هو صامتا وأنا اقترب من الهواء رافعة يدي كأنني عمياء، ونعم كانت ظنوني في محلها فقد فصل بيننا وبين غرفة الأسرى زجاج عازل لا أدري من أين أتى أو كيف رفع.

ظللت أراقب ما يحصل بأعين دامعة وشعرت بالاختناق وقد بدا صوت كارلا وهي تسأل جو عن ما يدور حولنا كصدى بعيد.....

- زجاج عازل

نطقتُ بها بهدوء فتوقفت كارلا عن السؤال وانهارت باكية مع قيدها المزعج

- آنية أرجوك أخرجينا من هنا..

كانت كلماتها وبكاءها يجعلني لا أطيق النظر إلى وجهها، وازداد هذا الشعور بعد أن طلبت مني ذلك وها هي تضيف مرة أخرى

- إنها تثق بك أرجوكِ يمكنك خداعها

بلغ غضبي الحد الأقصى فانفجرت فيها بما في قلبي من كلام

- أحقا يمكنني خداعها؟ ألا ترين كيف أنها لديها حساب لكل شيء؟

ثم اقتربت منها وهي تنظر إلي بعينيها الحرتين بتوجس وأنفاس متسارعة:

- هذه خطة وضعتها بعد سنين من عذاب كنتما السبب فيه وها أنا أجد نفسي مقحمة كصديقة مخلصة في عقل فتاة حالمة حولها الظلم إلى وحش

ثم جلست على الأرض بخيبة لا أجد ما أفعله سوى انتظار مصير لا أعلم كنه.. وهنا ظهرت ليال أمامنا تحمل آخر شيء توقعناه بيدها....

* * * * * * * * * * * * * * *

كانت تحمل بيدها كعكة دائرية الشكل بحجم متوسط، تغطيها كريمة لونها مزيج بين الأبيض والبنفسجي الباهت الجميل تزينها بعض الورود الصغيرة الموضوعة بشكل مسحات كمسحة على رسمة فنان بالألوان الزيتية، تتكون من أربعة ألوان باهتة برتقالي وأصفر وأبيض وبنفسجي أغمق قليلا من اللون الأساسي، تزينهم بعض أوراق النباتات الكريمية الخضراء

شكلها شهي جدا ببساطة جعل الفتاة الجميلة تصفق فرحا

- لقد حضرت لك كيكة عيد ميلادك صغيرتي
- هل يمكنني تناولها كلها؟
- بالطبع!

قامت بتقطيع جزء منها على شكل مثلث فبدت بدون ألوان من الداخل من ثلاث طبقات بينها كريم أبيض، وقدمته في صحن صغير للفتاة مع ملعقة صغيرة فبدأت الفتاة في التهامه فورا

- قولي للعم جو شكرا فهو الذي أراد مني أن أقدم إليك الكعكة
- لكنه ليس هنا؟
- نعم ليس هنا ولكن يمكنك تقديم الشكر قبل مجيئه أليس كذلك؟
- شكرا عم جو هذا لطف منك

نظرت ليال باستمتاع لجو الذي تعلم جيدا مكانه ثم قامت بقص جزء لها فنظرت إليها الفتاة قائلة

- سنأكل أنا وأنت ويشتري لي جو كعكة جديدة

أجابتها بمرح

- نعم حبيبتي، تفضلي هذه هديتي

فرحت الفتاة بشدة وهي ترى ليال تخرج من خلفها دمية شقراء في نصف طولها وأسرعت بفتح العلبة وإخراجها.

قالت لها ليال

- اسمعي إن احتجت إلى أية مساعدة هنا فنادي على جو، اتفقنا؟

أجابتها الفتاة وهي منغمسة في استكشاف اللعبة

- اتفقنا

قالت لها بعدها

- تناولي كعكتك وسأعود.

تحركت من مكانها وجاءت إلينا ممسكة بالصحن والكعكة ودخلت. هنا عرفنا أن هناك باب تدخل منه وهو الباب الثاني للغرفة ويبدو أنه في الردهة.

كانت تمسك بالصحن مبتسمة وقربته إلى جو هاتفة بمرح

- عيد ميلاد سعيد!

أبى أن يتناوله وهو يراقب الفتاة بحسرة فهزت يديها وقدمته لكارلا فلم تجبها وهنا نظرت إلي ولكن لم تقدمه إلي.. وكم حمدت الله على ذلك. في حين وقفت بجانبي وبدأت تتناول القالب وهي تراقب الفتاة ببساطة. قبل أن تترك جزءا منها في الأرض قائلة وهي تغادر

- لقد شبعت

* * * * * * * * * * *

مضت بضع ساعات مملة ونحن نراقب الفتاة الصغيرة التي عادت للنوم بعد أن أمضت كل ذلك الوقت تلعب بالدمية.

كنت أرغب في تناول الكعكة التي تركت ليال جزءا منها فقد بدأت أشعر بالجوع لكن كارلا نادتني

- آنية هل يمكنك إطعامي من الكعك؟

لم أرد فأردفت

- أرجوك أنا جائعة جدا فلم أتناول شيئا منذ أن أطعمتنا المخدر

أردفت مجددا بعد أن لم تجد ردا

- لا تقولي لي أنك تنتظرين موافقتها؟ إنني جائعة أرجوك فقد عرضت علينا هي إن نأكل

أجبتها موافقة بوهن وأنا أتجه للقالب

- حسنا

قال لها جو محذرا

- ألا تخشين أن يكون مسمما؟
- كلا فقد تناولت هي منه
- ولكن ربما وضعته حين اختفت في الجزء الذي لم تأكل منه؟
- لا تبالغ فالطفلة لم يحدث لها شيء كما أنني أعتقد أنها تريد تخويفنا فقط

سألتها وأنا أقدم لها الكعك

- هل ستأكلين أم لا

أجابت

- بالطبع لكن فكي شعري فهذه الوضعية مؤلمة سأختنق إن ظللت هكذا

نظرت حولي فأضافت لأوافق

- هيا آنية أعتقد أنها غادرت المكان حاليا وتركتنا

أومأت موافقة بعد برهة

- حسنا

وبدأت أفك شعرها عن يديها.

بعد أن انتهيت قمت بإطعامها فبدأ جو يختلس نظرات نحونا. قلت

- تريد أن تأكل؟
- كلا

عدت بعدها لإطعام كارلا قسمت آخر قطعة نصفين وبقيت قطعة صغيرة وأطعمتها فسألني

- هل يمكنك إحضار جزء آخر لي؟

نظرت إليه باستنكار

- من أين ما الذي تقصده؟

تبادل هو وكارلا النظرات وقال مشيرة للكعك

- من هناك
- هل جننت؟
- حقا إنني جائع ساعديني

لم أرد وأنا أفكر فيما يمكن حدوثه. قال

- لا تخافي أنظري إلي كيف أنا مقيد وستعلمين أنني لا يمكن أن أهرب

بدا ذلك مقنعا فأومأت وذهبت إلى الغرفة.

* * * * * * * * * * * * * * * * *

أخرجت رأسي فلم أجد أحدا. تجرأت قليلا وخرجت إلى الردهة على أطراف أصابعي. كان السكون الذي يجب أن أطمئن له سببا في تعالي دقات قلبي... مشيت ومشيت أخيرا وصلت للباب. خفت من أن يكون موصدا. رفعت عيني عن المقبض وقمت بتدويره بسرعة ففتح!

تنفست الصعداء وشعرت ببعض الراحة.

ابتلعت ريقي من التوتر وأسرعت بتقطيع الكعكة وملء صحنين بقطعتين منها قبل أن ألتفت للعودة، لكنني استدرت مجددا وملأت صحنا آخر لي بعد أن تأكدت من سلامة الكعكة.

حملت اثنين منهما بين ساعدي وكفي والثالث باليد الفارغة. خرجت وأقفلت الباب بقدمي واتجهت عائدة إلى الغرفة وأنا ألتفت بين كل حطة وأخرى إلى السلم. وأخيرا رجعت إلى الغرفة.

وجدت كارلا وجو كما هما لم يتغير وضعهما فوضعت الصحون على الأرض وعدت أغلق الباب. ثم بدأت في إطعام جو.

بعد أن انتهى نظرت إلى كارلا المفكوكة وآثرت تركها حتى أنهي تناول الكعك.

شممت رائحتها الشهية بتلذذ قبل أن أقسم جزءا صغيرا منها اخترته لأتذوقه أولا وقربت الملعقة من نظري لأرى جمال الكريمة البرتقالية التي وضعت كمسحة، يا لها من لقمة!!

ابتسمت وقربتها من فمي وأنا أتخيل تذوق جمالها الهش لكنني فجعت بلطمة على شفتي امتدت للصحن وأسقطته أرضا!!!!

احتضنت الأرضية الكريمة فأفسدت شكلها وقد اختلط المخبوز بالزجاج!!

كانت ليال في تلك اللحظة تقف أمامي ناظرة إلي بغضب مستعر فأسرعت أبرر

- لقد كنت تطلبين منا تناولها

لم ترد وقامت بتنظيف الكعك بصمت وسط استغرابي! ثم خرجت وعادت بعد لحظات تمسك بمنشفة مبللة وأخرى جافة تمسح البقايا.

قال لها جو متوسلا يحاول إقناعها

- هل تعتقدين بأن ما تفعلينه سيرد لك شقيقك؟

رفعت عينيها دون أن تنظر إليه وعادت تكمل المسح. فأردف

- اسمعيني ليال لا يمكننا تسوية الأمر هكذا أعلم أنك ترغبين في استعادة شقيقك لكن لا يجب معاقبة آخرين لا ذنب لهم؟

لم ترد فقالت كارلا

- تعلمين جيدا أن ابنة أخته أمانة لديه هذه الفترة لا تصعبي الأمور أكثر عليه

- أعلم أن مرادك إجبارنا على الاعتراف بالذي حصل، لكن العواقب وخيمة والفتى غادر!!

نظرت إلى ليال الصامتة بشفقة لكنها بدت ساكنة بلا أي ردة فعل فقط تمسح. أخفضت رأسي قليلا لأرى تعابير وجهها فلم أقدر على ذلك. ربما هي تتعمد الصمت وإخفاء وجهها حتى لا نرى تأثير هذا الكلام على وجهها..

أردفت كارلا بتهديد ضمني

- كما أنك لن تستفيدي شيئا من هذا ففي الأخير سيبحث كل من عائلاتنا عنا!! أخبريها آنية فربما قد بدأت الدوريات عملها

هنا رفعت ليال رأسها وبدا الجمود الكامل على محياها. لم تجب واكتفت بتمرير بصرها بنظرة سريعة ثابتة عليهما قبل أن تنهض مغادرة. فهتف جو وقد خرج عن رشده

- لن تذهبي وتتركيننا هنا!! هل تنتظرين أن أقدم اعترافا يجعلني أدخل السجن مقابل إسقاط تهم عن طفل غادر الحياة!!!

توقفت واستدارت تنظر إليه بغضب مكبوت غضب يتخلله انكسار لا يلوح في الأفق.. هنا علم أنه أصاب هدفه فهي حساسة وستفقد أعصابها وتنهار أمامنا

- سلمي لأمر الواقع ليال واتركي الناس لحالها ولن نقترب منك مرة أخرى

أردفت كارلا ببطء مانحة لكلماتها معنى وهي تنظر إليها

- كما أن والدي سيقوم بإخراجي لا تنسي هذا الأمر. القضية مغلقة

صمتت تنظر لهما بجمود فتبدلت سحنة جو لقلق وهو يسمع ذلك الصوت...

انفرجت عيناه جزعا وهو يرى الفتاة تستيقظ بسعال شديد بدأت وتيرته تتعالى قبل أن يتحول إلى دم!!!

- ما الذي فعلته بها؟!!

بدأت الفتاة بطلب نجدة قطع فؤاده وهي تقول

- جو أين أنت جو

هنا تحدثت ليال بسخرية

- هيا جو أنقذها إنها تحتاجك

تحت الغطاء

بعد ما قالاه لم تترك لنا هدنة

اقتربت من الزجاج بخوف أضع يدي عليه! فشهقت من صوت صراخ جو المفاجئ واستدرت إليه لتتسارع دقات قلبي إثر ذلك المنظر!! كانت ليال تمسك برأسه مثبتتا إياه بالجدار خلفه وتقوم بحرق رقبته بولاعة حين لم يقوى على النظر للصغيرة.

هذا ما فهمته حين قالت تخاطبه بكل ضغينة تحملها في قلبها نحوه

- ستتشاهد رغما عنك

لم يشأ أن يستجيب إليها وقام بخفض رأسه عنادا بعد أن أطفأ الولاعة التي بيدها بنفخة من أنفاسه ونظر إليها بتحدي.

اشتعلت حدقتاها البنيتان بنظرة شيطانية ناظرة إلى عينيه مطولا، قبل أن تعيد إشعال القداحة مجددا وهي تضيف بهدوء مخيف

- أنت لا تريدني أن ألهب لحيتك البنية الآن

رد عليها بتوسل وقد تذكر الطفلة:

- افعلي ما تريدينه فقط اتركي الصغيرة

لم يظهر على وجهها أي تعبير فقط أمسكت رأسه بقوة ودفعته للحائط مرتين ثم عادت تحرقه، لم يقوى على التحمل واستجاب لها. ظل ينظر بحسرة للفتاة المسكينة. سألها:

- ماذا وضعت فيها لماذا لم نتسمم نحن أيضا؟

أجابته ببساطة

- وضعت بها مسحوق التوت البري

انفرجت عيناي وأنا أستمع إليها!! إنها نفس المادة التي لدي حساسية منها!! ألهذا السبب رمت الصحن بعيدا عن يدي؟!

بعد مرور دقيقة، خرجت ليال من الغرفة واتجهت لغرفة الفتاة.

قامت بحملها وخرجت من الغرفة، بعدها لم نعد نسمع صوت سعالها القوي.

لم تمر خمس ثوان عادت بعدها وحدها من دون الفتاة، واتجهت مباشرة إلى المقعد وأبعدت الغطاء. آه! الآن انتبهت له !! لقد كان شكله يظهر أن شيئا ما تحته والآن فهمت، لقد قامت بتغطية المرأة والرجل تحت غطاء سميك قليلا. لقد فاتني كل هذا ولا ألوم نفسي مما أراه أمامي حتى الآن!

نظرت بعدها ناحيتنا بنظرة ذات معنى فعقدت حاجبي مستغربة! فأنا لا أعرف هؤلاء الشخصين! فإذا بكارلا تفقد صوابها!! صارخة بكل غضب

- ليال الحقيرة!!

لكنها لم تمنح لها بفرصة لقول أكثر من ذلك وهي تمرر السكين على رقبته بوحشية.

* * * * * * * * * * * * * * *

سقطت أرضا وأنا لا أشعر بشيء حولي سوى الصدى، وأي أمل في النجاة بات مستحيلا بعد الذي فعلته.

لم أعد أعي في أي زمان نحن، ما الذي حدث؟! ولما لم أشعر بتغيرها طيلة هذا الوقت!!

أطلقت كارلا آهة أقل تعبيرا عن تمزق قلبها، وسقطت على جانبها تئن ألما

- أبي!!

أغمضت عيناي الآن عرفت هويته ويا له من تعرف.

- آنية أحتاج مساعدتك

لم أشعر بالوقت إلا بعد سماع صوتها فانتفض جسدي مرتعبا منه.

- ما الذي تريدينه مني بعد الذي فعلته!!

أجابتني وقد انعكس جليد مقلتيها أمامي لامعا ببرود غير عابئة بانهيار كارلا وكأنها غير موجودة

- تعالي معي

سألتها بتوجس

- إلى أين؟!

أجابت ببساطة

- الغرفة
- أي غرفة تتحدثين عنها؟!

أشارت برأسها، كنت أعلم أنها تعنيها ولكنني تمنيت أن يكون غير ذلك

- أنت تطيلين وهذا لا يعجبني
- ماذا تريدين مني أن أفعل
- لا تسألي و اتبعيني ما دمت أسألك

مرت أمامي كل السيناريوهات، هل جاء دوري الآن!! أغمضت عيني فصرخت فيّ صرخة جعلتني أنتفض!

- هيا

نهضت على مضض وتبعتها، بعد وصولنا تساءلت لما أنا سعيدة الآن! هل ما طلبت مني أن أفعله جعلني مرتاحة أنني لن أموت؟ أليس الأمر فضيعا؟؟

* * * * * * * * * * * * * * * *

- أمسكيه جيدا إنه ثقيل الوزن علينا

كانت تضحك على وزنه وكأنها لا تجر جثة مجبرة إياي على مساعدتها.

كنت أرتجف وأنا أمسك معها تلك الجثة وأكاد أستفرغ من رائحة الدم. حاولت أن أعدلها عن ما تنويه قائلة

- ليس علينا أن نأخذه للغرفة السابقة
- بلى
- أنا محتجزة معهم وسوف أضطر إلى مشاهدة الجثة، ليال إنني لا أقوى على ذلك أرجوك

رمت بقدم الرجل بغضب واستدارت نحوي

- لماذا أصبحت فجأة تتحدثين معي كأننا لسنا صديقتين
- كلا نحن صديقتين

ابتسمت بسخرية وهي ترد

- إذا حركي الجثة معي وابقي متعاونة

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

بحركة سريعة من ليال كانت كارلا المستلقية على الأرض باكية تقابل وجه والدها المدرج بالدماء.

شهقت بفزع وحاولت أن تستفرغ غير قادرة على التنفس فاقتربت منها ليال، انتظرت حتى التقطت الأخرى أنفاسها لتقول شامتة

- ها هو والدك اطلبي منه الكفالة الآن

ردت كارلا بتحدي لا أعلم مصدره زاجة على كل حرف

- لن تنجي بفعلتك صدقيني

ابتسمت لها ليال بسخرية وابتعدت وهي تخاطبني

- آنية أشربيها الدم

انفرجت عيناي خوفا وارتجفت!! وجو ينظر إلينا بتربص

- هل جننت!

ثم تجرأت قليلا واقتربت منها مضيفة

- حسنا نعلم أنك ترغبين في الانتقام لكن بهذا الشكل لا يمكن

ثم أشرت ملوحة بيدي

- هذا شيء مقزز! ليس لأحد حق في تعذيب أناس أبرياء لسبب شخصي

تأملتني للحظات بدت لي أنها توازن كلامي ربما، تمنيت أن تقتنع بما قلته لكنها ردت ببرود

- إنك تسمين ما حصل سابقا بسبب شخصي، وتتهمونني أنا الآن بعديمة الإحساس. هيا نفذي ما طلبته منك وإلا ستعاقبين

واجهتها باستنكار فبدت أنها جادة في كلامها مما جعلني أتخلى عن الرد. لا يجب أن نعاندها وأنا لا أرغب في خسارة حياتي

- أريد كأسا

نظر إلي جو بخيبة فأجابتني

- بيدك

سألتها أتأكد مما سمعت

- ماذا تقصدين؟
- تشربينها بيدك هذا بسيط
- ليال أرجوك ليس إلى هذه الدرجة!
- هذا عقابك
- لكنني لا أستطيع!! إنها جثة!
- سأساعدك إذا

ابتعدت عنها أرد بجزع

- كلا لا أريد

وقبل أن أتحرك كانت تمسك بيدي بقوة ووضعت الدم على سترتي بيدها!!! يا إلهي!! ما الذي فعَلته!! لم أقدر على الصراخ وسط شهقاتي قبل أن أنظر إلى عينيها القاسيتين وهي تقوم بوضع بعض الدماء مجددا على يدي!! وتقربهما من كارلا

- هيا آنية أعلم بأنك تستطيعين ذلك
- حسنا أعطيني بعض الوقت

تعجبت من نفسي، أما هي فتركتني بهدوء، أغمضت عيني ثم تنفست بعمق قبل أن أجبر كارلا على احتساء الدماء.....

* * * * * * * * * * * * * * * * * * *

كانت كارلا تضم فكيها باعتراض، فأجبرتها على فتح فمها بالضغط على جانبيه، فور أن صرخت أشربتها الدماء بيدي، ابتعدت عنها قليلا متنهدة وأنا أرى الدماء تخرج من فمها لزجة وتغطي ثيابها!!

قالت ليال

- هذا أول درس لنا في التمريض، أن تحتضن مخاوفنا، وقد نجح معك

لم أرد فصاح فيّ جو

- يا لك من جبانة!! تتحكم بك بكل سهولة

نهضت من مكاني وهجمت عليه أمسح ما تبقى على يدي في وجهه

- إن كنت بهذه الشجاعة فواجها بنفسك

سمعنا تصفيقها وهي تخاطبني

- أحسنت آنية بما أنك نجحت فستأخذين أول مكافأة

ووضعت مفاتيح الغرفة أمامي

- يمكنك الآن التحرك في بين الغرفتين كما تشائين

وخرجت.

فور خروجها قال لي جو بخفوت يحاول إقناعي

- هي تقوم فقط بتحفيزك لتساعديها! لكن إن ساعدتنا يمكننا الخروج

ابتعدت عنه واتجهت فورا لآخذ المفاتيح، دخلت مجددا في تلك اللحظة فأسرعت لإخفائها قبل أن تعدل عن قرارها.

أخرجت سيجارة وأشعلتها، أخذت نفسا ونثرته ببطء في الهواء وسط أعيننا المراقبة لها. اقتربت ببطء من الحائط وظلت تنظر من خلاله إلى الغرفة الأخرى.

سألها جو

- أين الفتاة ليال
- إنها بخير لا تقلق
- أين وضعتها
- ليس من شأنك
- أرجوك

استدارت إليه واتكأت على الحائط آخذة ثلاثة أنفاس من السيجارة ببطء ثم سألته

- هل ترغب حقا في رؤيتها؟

بدت في حالة صفاء حقيقية وهي تسأل فأجاب بهدوء مومئا لها برأسه

- من فضلك

أطفأت السيجارة في الحائط خلفها وأومأت

- حسنا لك ذلك

وغادرت الغرفة.

بعدها ظهرت في الغرفة المقابلة لوحدها، كانت الغرفة تغرق في الدماء. وأخرجت سيجارة أخرى لتدخنها

- أتمنى لو تختنق بها

قالها جو بحقد فأبعدت أمام عينيه الغطاء السابق فوق الأريكة لتظهر المرأة الشقراء نائمة كحالة السابقين، واقتربت أمامها جالسة متربعة وتدخن السيجارة.

- أختي!!

اختناق الجو والمشاعر

حسنا هي أخته وقد جاء الدور عليها.

لم أستطع الاستمرار أكثر، أعصابي لا تقوى على التحمل، أشعر بالمرض وكأن جسدي تزداد حرارته. أحشائي أحس أنها تعتصر والغثيان يجتاح معدتي، زاغت أمامي صورة المكان لدقائق ثم عدت مجددا لأرض الواقع الذي لا أرغب به، و كأنني مجبرة على العيش داخل فيلم رعب غير واضحة معالم نهايته والصورة الصماء أمامي خلف النافذة لليال تدخن؛ تقابلني. أراقب ما تقوم به داخل السجن الذي وضعتنا فيه.. مسحت جبيني وتنهدت بعمق وأنا أراقبها.

جلست أمام المرأة النائمة تدخن السيجارة فصاح جو بصوت شعرت من خلاله أنه يرغب بأن تخرج روحه من جسده لتنقذها

- أختي!!

ثم أضاف وهو ينظر إليها بعينين كلها كره

- ليال الحقيرة!! كان يجب علينا الحذر منها بعد أن حصل لشقيقها ما حصل!!

ثم صمت وهو يتنهد عدة تنهيدات متتابعة ويحاول فك قيوده حتى دمت يداه فصرخ صرخة عالية فجعتني! وكأن داخله بركان انفجر بشعل غاضبة حارقة لم تحرق سوى قلبه.

بعد أن استفاق من غيبوبته اللحظية قال لي:

- آنية أنت الوحيدة القادرة على تخليص المرأة المسكينة هناك امنعيها من التدخين أرجوك

لم أكن مركزة بشكل جيد فلم أقدر أن أفهم سبب انزعاجه لهذا الحد! حسنا لا أنكر أن له الحق في ذلك ولكننا نعلم أنها تخفي الكثير! ومسألة التدخين ليست سوى أمر عارض!

- لما أنت مستاء لهذا الحد؟

سألته إثر أفكاري فأجاب متنهدا

- إنها تتصرف بدون إنسانية ألا ترين؟! تقتل وتؤذي الأطفال والمرضى!
- لما تطلب إلي مساعدتك!! أنا متعجبة أن لك مشاعر وتخاف على أحدهم

قاطعتنا أصوات المرأة وهي تستيقظ تسعل بشدة وقد بدأت في الاختناق قائلة وسط شهقاتها

- أرجوك أطفئي السيجارة

هذا أول ما قالته وهي غير قادرة على التنفس، فأجابتها ليال ببرود

- حسنا

وقامت بهرس السيجارة في صحن نحاسي خاص بإطفاء السجائر.

أمعنت النظر في السيدة فوجدت ملامحها الرقيقة بدت شبيهة بشكل كبير للصغيرة جيني، الواضح أنها والدتها

عادت تنظر للمرأة قبل أن تأتي إلينا

لم تدخل من الباب وظلت واقفة على جانبه تنظر إلينا ممعنة النظر كانت حدقتيها يعلوهما الرضا الكامل وهي ترى كارلا المنهارة وجو المكتئب. فقال لها جو متهكما

- هل تمارسين التعذيب وتأتين لرؤية النتيجة على وجوهنا؟ كم هذا مثير للشفقة

لم ترد وظلت تنظر إليه باستمتاع فأكمل تهكمه الكلامي

- تعلمين أن المرأة مريضة ومع ذلك تدخنين أمامها هل معاناة الآخرين تسلية لك؟ لم تكوني هكذا سابقا! حسنا لم تكوني غرة ولكن السلام كان من أولوياتك

ردت ببرود

- حسنا

ونقلت نظرها للنافذة تتأمل المنظر البهيج لعقلها المعتل وكأن لا أحد أمامها.

كم بدت متألقة مرتاحة البال كما لم تكن من قبل

قال لها متسائلا وقد بدأ ينفذ صبره

- لماذا تفعلين هذا؟

هزت كتفاها ببساطة

- رئتاي سليمتان يمكنني تدخين المزيد

بدا أنه فهم تهديدها فلم يطل التلاعب لكي لا تفعل شيئا مخيفا فآثر الحكمة بأن يقول:

- اخبريني بما تريدينه مني وسأنفذ

حسنا وضع الأوراق الأخيرة على الطاولة فأجابت مثبتتة عينيها عليه

- أرغب بالقصاص لنفسي ولأخي
- كيف تريدين ذلك؟ يمكنك قتلنا والتخلص منا للأبد

نظرتُ إليه بخوف وصحت به

- حتى في الأمور التي أخطأت بها أنت أناني وترغب في أن ندفع جميعنا الثمن

لم يرد ونظر إلي بلؤم نفرني منه أكثر في حين أجابت ليال سؤاله

- بأن أراكما تنظران رغما عنكما لما يحدث هنا

كان وجهها بملامح شرسة. عينان تشعان بكره وقبضتها مضمومة بغضب لكن صوتها كان هادئا مستقرا ذلك الغضب جعل عيناي تدمعان على حالها.. كيف جعلها الأمر تضل لهذه الحال.

قال لها جو متصنعا برودها:

- لكن هذا القصاص لك فقط

ابتسمت ضاحكة وهي ترد

- إنك مراوغ كعادتك لكن مستواك انخفض

واقتربت منه هامسة بفحيح ساخر ونظرة تشفي ترمقه بها

- قصاص أخي بما يحدث لهم

تجهم وجهه دون أن يحيد بنظره عنها في حين ابتعدت عنه قليلا وهي تنظر إليه بتوعد قبل أن تشعل سيجارة أخرى وتنهض عائدة إلى حيث جالسة المرأة.

كانت المرأة قد بدأت تتعافى ولا نعلم السر!! فالنوافذ مغلقة وليست ليال بالغباء الذي يجعلها تترك الباب مفتوحا لرهينة. انتظرت أن أراها تلج المكان ولكن ذلك لم يحدث.

كنت أقف أمام الحائط أشاهد المرأة وهي تبحث في المكان عن المخرج وتنادي إن كان أحد ما هنا

- يبدو أنك قد آلفت المسلسل

لم أرد عليه فأضاف:

- أراك تنتظرين القادم بفارغ الصبر بدأت أشك أنك شريكة لها في الجريمة

استدرت نحوه بغضب فقال:

- لقد عهدناك تشاركين دون أن نشعر بك

تأملته للحظات وأنا أرتب ما سأقوله

- إن كنت ترغب في مساعدتي لك فليست هذه الكلمات الصحيحة

ثم أشرت لكارلا

- هل فقد بيدقك صلاحيته وتبحث الآن عن بديل؟

نظرت إلي بعينيها الزائغتين. راهنت حينها فقط أنها قد فقدت عقلها.

قال ساخرا:

- وهل أنت الآن في صفنا؟
- لست في صف أحد أرغب فقط في الخروج والهرب
- وهل ستخاطرين بالتعاون معنا؟

- هل لديك طريقة للهرب؟
- أريد أن أعلم إن كنت ستساعدينا أولا
- سأفعل
- اذهبي للمرأة واخرجي جهازا تحمله دائما معها اضغطي عليه فهو جهاز خاص بابنتها
- ولما سأضغط عليه؟ ما فائدته؟
- يخطر بأن الطفلة في خطر
- يخطر من؟
- الشرطة

لمعت عيناي أملا وسألته بتوجس

- أمتأكد؟
- تمام التأكد

لم أكن مقتنعة ونظرت إلى المرأة أرتب الأمر في رأسي ثم قلت

- ولما لا تضغط هي عليه؟

بدا أنه لم يفهم سؤالي فأوضحت مشيرة لشقيقته

- إن شعرت بخطر ستضغط عليه
- ألم تنتبهي حتى الآن؟

عقدت حاجبي باستغراب فقال:

- شقيقتي تثق بليال فقد كانت تزورنا من حين لآخر للتمريض حين تأتيها نوبات الاختناق

رفعت حاجبي متعجبة ولم أعلق و قد بدا الأمر حقا كذلك

- هل ستفعلين؟

أومأت موافقة واتجهت ناحية الباب. فتحته ببطء وأنا غارقة في أفكاري قبل أن أنتفض وأنا أراها أمامي!!

دق قلبي بشدة ووجهها الغامض المخيف يظهر أمامي على حين غرة!! رمقتني بنظرة قاتلة ابتلعت ريقي وأنا أنتظر نتيجة الوعيد الذي في عينيها.

اقتربت مني وهمست في أذني بكلمات فنظرت إلى جو فاتجهت إليه أنفذ ما طلبت مني.

بقي ينظر إلي متوجسا. فقطعت توجسه وأنا أغرس سيجارة في جرح أنفه فأطلق صرخة مكتومة لكنني لم أقوى على ذلك فأغمضت عيناي وبدأت يداي ترتجفان قبل أن أتلقى ضربة من جبهته جعلتني أفقد التوازن وأسقط أرضا. بدأت أبكي بحرقة ولم أشعر بأنني متوازنة حيث أن السقف بدأ يدور فوقي....

كم كنت أنوي أن تكون لي ذكريات في هذا المكان وقد تحقق ذلك.

بدأت أشعر أن مديري المزعج ببطنه المتدلية أفضل وألطف ذكرى تمر علي الآن.

شعرت بغطاء عيناي ينبسط وآخر ما رأيته كان عينا كارلا اللتان تحدقان بي.

ماضي بهيج وقنبلة حاضر

بين أصداء الناس المبتهجة والسعيدة في المكان كنتُ حاملة بين يدي بعضا من كعك الأرز لي ولها لتناوله لأول مرة وقد نال الجوع مني، ماسكة علب الطعام أتمشى بشكل سريع وأوراق أزهار الكرز حولي في كل مكان مستمعة إلى الحوار بين الجموع باللغة اليابانية دون أن أفهم كلمة .

أنا الآن في قلب مدينة طوكيو في حديقة تحتل مساحة كبيرة من الأرض، في منطقة تدعى تشيودا، تحديدا في الحدائق الخارجية الشاسعة المفتوحة للجمهور، أين؟ في القصر الإمبراطوري الإمبريالي!! إنها مجانية وهذا يروق جدا لي.

لم أحلم يوما بزيارته لأنني لم أسمع عنه من الأساس وها أنا أتجول بين بساطه الأخضر الغض، ومشاهدة أكثر شيء خلب لبي في المكان! تلك الانخفاضات الضيقة الساحرة التي تمتد لمسافات طويلة المليئة بالمياه، والمسماة بالخنادق. هي المعلم الوحيد الذي راق لي بشدة من بين كل ما رأيته. كان من خطط البعثة مجرد التجول والنظر. لكنني لم أكتف بهذا ولمست بيدي المياه الصافية النقية التي تحتويها تلك الخنادق خفية. شعرت بانتعاش غريب حين اخترقت يداي سطحها المائي البارد. كم رغبت في السباحة بها لكن لسوء الحظ الأمر ممنوع.

هذا القصر عريق جدا يقال أنه في القديم كان يعرف باسم قلعة إيدو، وكان موطن لمحاربي الساموراي. هنا تمنيت لو كنت في تلك الحقبة، كنت طبعا سأكون متفرجة فقط .تخيلت نظرت إلى المبنى وأنا أتذكر الخاص بالأسرة الإمبراطورية وأنا أتخيل زي الإمبراطورة التقليدي داخله. سرحت في خيالي أكثر وأنا أرتدي ذلك الزي الحريري بألوانه الزاهية، كم سيكون الأمر رائعا لو أنني إمبراطورة.

لفت انتباهي ممر الخندق من جديد فتبعت إحداها إلى أن وجدت نفسي في حديقة تضم مبنى بشكل غريب عن باقي المباني. فوقفت أحاول البحث عن اسمه لكنني توقفت حين لاح إلى مسامعي ذلك الاسم الصعب بين حديث دائر بين سيدتين تبدوان في الأربعين من العمر يابانيتي الملامح عن المبنى فتذكرته فورا. توكاغاكودو؛ يقال أنها قاعة الموسيقى الخاصة، بنيت في الستينات كهدية عيد ميلاد للإمبراطورة كوجون تخيلت كم كانت سعيدة لحظتها بالمكان وهي تعزف على البيانو .

مررت بعدها بين التماثيل والمنحوتات الجذابة، ممتعة عيني بالنظر إلى بعض النصب التذكارية، والجسور المتناسقة مع الطبيعة الخلابة التي تنبض بالحياة وأنا أتجه إلى وجهتي.

نظرت حولي مستمتعة بالجو العليل وكم شعرت بالامتنان للتوقيت الذي أُرسلت فيه هذه البعثة فلحسن الحظ أنني أزوره في شهر أبريل. بعدها تذكرت ليال! فهي مرافقتي في الرحلة، أو بالأحرى استفادت كلتانا من الرحلة.

وصلت إلى المكان الذي تركتها فيه قبل أن أذهب لشراء الطعام لكنني لم أجدها، بحثت عنها بعيني حتى رأيتها، اقتربت منها فوجدتها مغمضة العينين بطريقة شاعرية مبتسمة برقة والهواء العليل يداعب خصلاتها الفاحمة.

يبدو أنها وجدت مكانها تحت الحدائق الخضراء الشاسعة للقصر الإمبراطوري الياباني.

وأنا أخطو ناحيتها كررت اسم تلك الحديقة مجددا عدة مرات فكم راق لي.

وقفت أمامها قاطعة عنها تأملها

- هيا لنأكل

نظرت إلي ببهجة وهي تمسك بحصتها مقترحة

- لما لا نتناوله هنا تحت أشجار الكرز

وافقت على ذلك وجلسنا تحت تلك الأشجار نتناول الطعام بصمت، لوكت قضمة من أونيغيري ببطء وقد أعجبني مذاقه وأنا أتأمل المياه العذبة. كان المكان هادئا منعزلا شعرت وأنا جالسة فيه كأنني بعثت إلى الجنة. قلت وأنا أمرر عيناي على أشجار الكرز:

- حديقة نينومارو يا ترى على كم شجرة تحتوي؟

ردت علي ببساطة:

- مئتان وستون شجرة

نظرت إليها باندهاش!

- هل قمت بِعَدِّها كلها؟!

هزت رأسها نافية:

- كلا سمعت العدد من المرشد
- ذلك المرشد لقد أصابني بالملل سمعت منه فقط من أكثر حدائق القصر زيارةً على المستوى المحلي والعالمي

ابتسمت وهي تشاطرني الرأي

- إنه كذلك حقا
- لما أبيت زيارة بقايا قلعة إيدو وبنائها القديم وما حولها من خنادق وجسور وبوابات وجدران وأبراج الحراسة؟ لقد كانت جميلة
- كلا لم أرغب في رؤيتها
- لما؟ أعتقد بأن الأمر سيكون ممتعا إن جربته

لوحت بيديها بملل:

- لا أعلم الفائدة من رؤية أشياء محطمة في السابق ولم يتم ترميمها
- هذه مقولة فلسفية وما السبب في رأيك في حب الناس لرؤيتها بالشكل التي هي عليه؟ ولماذا لم يبذل أحد جهدا في ترميمها؟

عادت تتكئ بظهرها على الشجرة التي خلفها وأجابت

- السبب أنها رسالة من الاوعي بأن ما حُطم سابقا لا يُرمم
- نظرتك تشاؤمية جدا
- بالعكس لا يجب الهروب من الحقائق
- بما أنك لا تهربين لما لا ترغبين برؤيتها؟
- من يرغب برؤيتها يحارب تناقض قلبه لذلك يجد راحة في مشاهدتها أما أنا يزعجني الأمر ويحبطني
- ربما يرغب أحدنا في إيجاد سبب كأمل في الترميم لا تقنعيني بأنك لا رغبة لك في ذلك

صمتت وقد كانت أنهت وجبتها ثم عادت تتأمل المكان ممسكة بزهرة الكرز الوردية تشم رائحتها بصفاء فأضفت

- لو حدث وانهرت من أين تبدئين الترميم؟

ابتسمت براحة ووضعت الزهرة في شعرها مجيبة بمزاح ضاحكة

- بتدمير السبب

ضحكت معها وغرقنا في ضحك لا مبرر له فجأة أفقت من سباتي على صوت تفجير عنيف!!

* * * * * * * * * * * * * * * * *

عدت للواقع واستوعبت فورا ما كنت فيه؛ لقد كان حلما حدث حقا في الماضي! اعتدلت بسرعة في الجلوس ونظرت أمامي مباشرة ليقابلني ذلك الجدار الأبيض الناصع سابقا بسواد حالك! علت الدهشة محياي وأخفضت عيني مبتلعة ريقي لأجد كارلا ممسكة بشيء ما خلف يديها صارخة بتحدي وعروق رقبتها تكاد تنفجر في ليال الواقفة بتوتر غريب!

- لن أجعلك تفرحين بتعذيبنا

شعرت بأن الأمر خطير فسألت جو بسرعة

- ما الذي يحدث!!

نظر إلي وبدا أنه قد انتبه لاستيقاظي في تلك اللحظة فأسرع في الهتاف بي مستنجدا غير قادر على الحركة من قيوده!

- أوقفيها! أسرعي!! لقد جنت تماما! إنها ترغب في تفجير المكان!

بدا أن قلبي قد أصبح أمام أذني وقد علا صوته بشدة على سمعي وانفتح فمي مشدوها وأنا أعود للنظر نحوها!! تبكم لساني وأنا أرى عيناها اللتان بدتا ستخرجان من محجرهما والجنون يغلف بؤبؤها الأسود!! شرر تطاير منهما والغضب والانتقام فيهما جعلني أتأكد أن القادم أسوء بكثير من السابق..

فجأة انهار المكان حولنا!!!

ذاكرة السمكة

هناك أمور مقيتة تحدث في حياتنا، نرغب في إزالتها ومحوها للأبد لكنها باقية، هي حدثت بالفعل فستبقى، رغم أنها من الممكن أن تكون متعلقة على طرف قشة بالية معلقة في نافذة منزل ما خلال يوم عاصف. لكنها ثابتة رغم ذلك بالقشة لأنها في الحقيقة بقعة ملطخة فيها، يمكن غسل القشة؟ بالطبع. لكن من يكلف نفسه عناء ذلك؟ أليست القشة البالية للرمي؟ كذلك حالها، فليس إن كانت العواصف والرياح تتداولها. كل منا لديه طريقته في إخفاء الماضي، من ضمنها التناسي أو تدمير السبب...

ماتت كارلا! وكذلك جو! أما أنا فقد نفذت من الحادث بأعجوبة! راكضة خارج ذلك المنزل اللعين غير قادرة على اللحاق بتتابع أنفاسي... فلتتابع بل فلتتوقف لكنني لن أستدير أبدا خلفي.

في تلك اللحظة التي انفجر فيها المبنى أسرعت بالركض ناحية الباب قبل أن يحدث لي شئ دون أن أستمع لتوجيهات جو بضرورة إقناع كارلا، أبعدت ليال الصافنة بذهول فسقطت وقمت بفتح ذلك الباب هربا من الصاعقة التي انتشرت مع الماء المسكوب سابقا على الأرض، أغمضت عيني لأمنع المشهد الذي رأيته قبل حدوث الكارثة حيث

كانت ليال تمسك بكماشة قطع الصفائح المعدنية وتقوم بكل قوتها محاولة اقتلاع ظفر كارلا بعد أن جن جنونها! تلك الأخيرة التي استغلت انسكاب الماء لتقوم بفعلتها كأنها راغبة في تفجير كل شيء بما فيهم جسدها!! أشعر بالغثيان كل ما أتذكر الأمر...

تتعثر قدماي إثر كل خطوة أخطوها للهروب من هذا المكان اللعين..

ترى هل يمكنني الهرب فعلا؟! إني أرى السبيل لذلك أمامي بعيدا عن عينيها الباردتين!! فجأة جاءتني صورهم فنفضتها فورا عني لأنها الوحيدة التي ستمنعني من النجاة بعد ما ارتكبته.

لم أشعر يوما بأنني مقيدة كهذه الأيام القصيرة اللعينة.. قالت أمي مرة أن ما يحصل معنا نتاجا لأفعال سابقة

بدأت أراجع أفعالي تحت قيود قدمي وقررت التسليم بما اقترفته لكن ليس الآن.. فالمنفذ خلف المروج...

ركضت نحوهم بكل طاقتي لا ألوي على شيء سوى الهرب، لكن يدا من حديد منعتني!!!

حاولت المقاومة وسط استغرابي لكن دون فائدة! من هذا!!

وجدت نفسي أحلق عاليا قبل أن أرتطم بقوة على الأرض!!

استدرت برأسي دون القدرة على التحرك ناحية هذا الشخص الذي كان يمسكني وأسقطني بكل قوته على الأرض!! فوجدته شاب قوي البنية يشبه المصارعين!!

- لم أكن أعتقد بأنك بهذا الغباء آنية!

انفرجت عيناي وفلتت مني شهقة فزع وصوتها يخترق آخر ما تبقى من الشعور الضئيل بالأمان في قلبي عبر أذني فهمست لنفسي غير مصدقة!!

- ليال؟!
- لا أحد سينجدك من هذا المكان فأنا المالكة لكل هذه البيوت

ابتلعت ريقي وأنا أحرك رأسي نحوها! كان منظرها مهندم بعض الشيء لكن ليس كفتاة في وضع كانت تحت الانفجار!!!

خاطبتني بغضب جنوني قائلة

- هل كان علي محاسبتك أنت كذلك؟

لم أجد ما أقوله وأنا أدري تماما ما تعنيه فأضافت تسألني بوعيد ودموع متحجرة في عينيها

- هل أنا حقا الشريرة في القصة؟!

كانت نظرتها بين غضب وجنون طاغيين يختفي خلفها لوم وانكسار فلم أجد سوى أن قلت بخزي

- إنك تعرفينني
- أعرف جيدا ما يمكنك فعله، أعجبتني حين تركتيهما يموتان، على كل حال لا يمكنك الهرب فكما ترين لم أكن بمفردي

ثم أشارت إليه بحركة من رأسها عرفت من خلالها أنها نهايتي فأغمضت عيني وزممت شفتي بتوجس هربا من رؤية المصير...

كيف وصل بي الأمر في هذا المكان؟! يقال أن الإنسان حين يولد يمر شريط حياته أمام عينيه والآن نهايتي لا مناص من الرجوع إلى الخلف قليلا فالهلاك قادم لا محالة...

* * * * * * * * * * * * * *

عدت بذاكرتي قبل شهر وخمسة أيام من مكوثي في المنزل حين التقينا أنا وليال وكارلا في مقهى و تحدثنا عن العمل.

كانت حينها كارلا عاطلة عن العمل أما ليال فكانت تعمل كممرضة. تلك الوظيفة التي لا تناسبها ولكنها أصرت على القيام بها والآن أفهم تماما السبب.

شكوت لهما الضغط الذي أتعرض له يوميا من قبل المدير وزملائي الطموحين الذين لا يتذكرون تلك الصفة إلا حين يأتي شخص جديد له ميزة معينة. فتبدأ أساليبهم الذكية في

الظهور طافية إلى السطح حيث يجلس المدير منتظرا خبرا عن أي عامل ليكيل له وابل من الضغوطات، وكانت ميزتي أنني أحب أن يتم الإطراء على ما أفعله وأقدمه، ولكن عيبي أنني أتأخر في الحضور فكانت النتيجة أن "لن أشكرك ما دمت تتأخرين" وهنا بدأت مأساتي الوظيفية

حسنا أتوق شوقا إليها الآن..

قلت حينها:

- أرغب في إستأجار منزل داخل غابة ويكون به كل أساليب الحياة الممتعة، مسبح، شرفة كبيرة تطل على المروج وحديقة تتسع لكل زهور العالم.

وقتها اقترحت علي ليال أن أستأجر هذا المكان وكانت الوسيطة بيني وبين المالك.

المالك؟!! لماذا لا يظهر؟

فتحت عيني مستغربة وأنا أنظر للرجل الذي يقف أمامي يشحن المسدس ترى هل هذا هو المالك؟ هدر صوته الرخيم فجأة وهو يقول مخاطبا إياي

- انتهى أمرك

أغمضت عيناي اللتان لم أقوى على إيقاف ارتجافهما وأنا أتصبب عرقا لكنني سرعان ما فتحتهما بأمل حين هتفت فيه

- كلا لا تفعل!

حمدا لله لقد لان قلبها لي كما في كل مرة فليال رغم كل شيء صديقة وفية

- ليس بهذه الطريقة

نظرت إلى الرجل أمامي دون أن أستوعب جملتها فأضافت لأفهم جيدا ما تقصده قائلة

- أرغب أن تموت كما مات لشقيقي

هنا انهرت باكية على نفسي، لما فعلت ذلك لما!!؟

أمسكني الرجل وقام بتثبيتي. احتوتني فجأة قوة لا أدري مصدرها وقمت بدفعه وقد نجحت في ذلك ونظرت إليه وأنا ألهث متطلعة إلى جسده باحثة عن أي إصابة ممكنة حتى أستطيع اختراقها إنني في قمة يأسي وأعلم ذلك وأسرعت بنظري حولي أبحث عن أي أداة حجارة كانت أو غصن أدافع به عن نفسي فلم أجد فما لبثت أن وجدت نفسي مثبتتة من يدي مرة أخرى لا أقوى حتى على تحريكهما في حين أمسكت ليال بعصا وقامت بضربي بها وهي تصرخ باكية

- لن تنجي بفعلتك.. لن أسمح لك بهذا!! كيف طاوعتك نفسك لفعلتك الدنيئة!! لما لم تخبريني أنا أولا لما!؟

صرخت ألما إثر ضرباتها المتتالية لكني لم ألبث أن وجدت نفسي أختنق وأنا أشم رائحة غريبة بدأت على إثرها أفقد القدرة على الحراك وشعرت بسائل ساخن يخرج من عيني

اختلط به طعم الدم المالح وهو يعبر فمي المشدوه وعدت مرة أخرى بالذاكرة، ولكن هذه المرة لزمن أبعد بكثير...

* * * * * * * * * * * * *

كان شقيق ليال الأصغر فتى شريرا بنظري لذلك لم أكن أشفق عليه خصوصا أنه في مرحلة بين الطفولة والمراهقة. كنت أفزع إذا رأيته يمر من أمامي متصورة بأن مصرعي سيكون بأية لحظة على يديه بطريقة ما.

وفي يوم من الأيام عرفت سرا بأن كارلا وجو يقومان ببيع المواد الكيميائية للقصَّر بمن فيهم شقيق ليال، في بادئ الأمر لم أكن أعلم حقيقة الأمر فتتبعتهم حتى عرفت بطريقتي.

رأيتهما مرة يجمعان بعض المواد الكيميائية، القليل منها فوجدتها فرصة للتخلص من الثلاثة وقمت بإخطار الشرطة بالأمر.

حسنا أعلم أن رجال العصابات لن يتركوا دليلا خلفهم لذلك كنت مدركة أن شقيق ليال لن يستمر طويلا على قيد الحياة، وهو ما حصل بالفعل بعد أن قاموا بخنقه بمادة كيميائية حتى الموت واعتبر موته انتحار.

* * * * * * * * * * * * * *

عدت من ذاكرتي على أضواء ساطعة قادمة من اتجاه المنزل منعتني من الرؤية لكن الصوت المنبعث من مكانها أشعرني بالطمأنينة! أخيرا رجال الشرطة!!

دمعت عيناي سعادة وقلبي يرفرف بعد أن كان على وشك التوقف وصوت الشرطي يعلو مخاطبا ليال والرجل الضخم لكي يسلما نفسيهما

لم تجد ليال ما تفعله وهي تنظر حولها! لقد حوصرنا من كل اتجاه ويبق في المكان سوى معبر واحد، ابتلعت ريقها وزمت شفتيها بإصرار ثم انطلقت إلى المروج مع مساعدها

- توقفا مكانكما!

هدر بها الشرطي الممسك بالسلاح الناري وهو ثابت في مكانه قبل أن يطلق النار عليهما.

كان الغاز قد تمكن مني فلم أقوى على فتح عيناي أو متابعة ما يحصل. هنا فقط أدركت أنها كانت تقصد خنقي بنفس الغاز الذي توفي به شقيقها.

النـهايـة

بعد ذلك ألقي القبض عليهما.

أصيبت ليال في كاحلها والمساعد في فخذه، فقد كان الشرطي يبغي شل حركتهما.

حكم على ليال بالمؤبد وعلى مساعدها أربعون سنة، زرتها مرة في السجن لكنها لم ترغب بمقابلتي، ترى هل ترغب بالانتقام مني أنا أيضا؟

ظل السؤال يراودني حول كيفية قدوم الشرطة في ذلك التوقيت بالذات! فعلمت أن للفتاة الصغيرة خالة تحبها بشدة قامت بوضع جهاز متتبع لها وقد سجل مكانها قبل أن تتلفه ليال.

بعد ذلك تم إنقاذ المرأة الكبيرة وجو في حين لقي الآخرون حتفهم

* * * * * * * * * * * * * * * * *

أنا أمتلك ذاكرة سمكة لذلك في معظم الأوقات أنسى ما فعلته، لذلك فإن كل مشاعري مبرمجة على نفس الذاكرة، ربما من أجل ذلك الشعور بالذنب قلما يراودني.

أتممت هذا النص الأخير من مذكراتي بنقطة قبل أن أمدد جسدي المنهك على السرير من أجل النوم فغدا هناك كتاب جديد ولد من خضم مجريات حياتي.

أغمضت عيني براحة تامة قبل أن أدخل في سبات عميق.

شكرا ليال فبفضلك صرت كاتبة مشهورة وتخلصت من وظيفتي المزعجة. وفي الأخير أنا على قيد الحياة.

تمت بإذن الله